حج الخلفاء العباسيين ودُورهم في مكة خلال العصر العباسي الأول (١٣٢–٢٣٢هـ/ ٧٥٠–٨٤٧م)

أ. ريم بنت عجب العوني
كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

هذا البحث سيتناول حج الخلفاء العباسيين خلال العصر العباسي الأول ودُورهم في مكة بما كان لهذه الدور(منازل) من أثر في بقاءهم بعض الوقت في مكة اثناء إقامتهم، إذ حرص الخلفاء العباسيون على خدمة الوافدين لبيت الله الحرام وتسهيل كافة العقبات التي تواجههم في أداء مناسكهم، حرصًا منهم على أن تتم هذه الأعمال على أكمل وجه، وقد أخذوا على عاتقهم تذليل كافة الصعوبات التي تواجه الحجاج والزائرين، من تمهيد للطرق وتحقيق الأمن لسالكها، واختيار ولاة قادرين على الاهتمام بالوافدين على وجه الخصوص، وليتم ذلك على الوجه المطلوب فقد عمدوا إلى توفير أماكن لإقامة حجاج بيت الله الحرام وزائريه، وبالنظر للاهتمام المبذول لتلك الدُور يمكن استقراء شيء من خصائصها بالإضافة لدورها السياسي والاجتماعي والخيري. وبالنظر إلى الدُور بداية يمكن القول أنَّ لهذه الدُور دورًا سياسيًا مهمًا فهي تشبه نوعًا ما القصور الرئاسية أو الدُور الملكية، إذ تمثل المكان الأساسي والرسمي لإقامة الخليفة، وبإقامة الخليفة بتلك الدار يثبت شرعية الدولة الحاكمة بالحكم كما أن في إقامة الخليفة فيها تصريح بحكم الدولة العباسية، خاصة أثناء وجود نوع من الاضطرابات الأمنية في مكة والمدينة آنذاك اثناء ثورات العلويين.

المقدمة:

فقد اكتسبت مكة منزلة رفيعة بما حباها الله به من شرف ورفعة، فجعل لها من الفضل والمكانة مالم يكن لغيرها من البلاد، وشرفها سبحانه بأن جعلها أحب البقاع إليه، تهوي إليها أفئدة المسلمين من شتى بقاع الأرض، فهذه البلاد المقدسة ليست كغيرها من سائر البلاد، إذ خصها الله تعالى بالتكريم على مر العصور، فمكة مهبط الوحي ومبعث نبيه صلى الله عليه وسلم، اختارها الله تعالى قبلة للمسلمين. ومن فضل هذا البلد الحرام أن جعل الله به كعبته المشرفة، قيامًا للناس، قال تعالى:﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاس﴾ المائدة: ٩٧.ففيها معالم حجهم ومناسكهم، ومتوجَّههم لصلاتهم، وقبلتهم التي باستقبالها يتمُّ فرضُهم[١]. ومن فضل هذا البلد ومما زاده شرف على شرفه أنه أحب بلاد الله إلى الله ورسوله قال صلوات الله وسلامه عليه: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[٢]. ولهذا تبوأت مكانة رفيعة في أفئدة المسلمين على وجه المعمورة. فقد حظيت مكة باهتمام الخلفاء فهي منبع الإسلام ومهبط الوحي وقبلة المسلمين فهي تحتل مكانة عظيمة في نفوس المسلمين لم يحظ بها غيرها، وهذا يعكس الاهتمام الكبير الذي أولاه الخلفاء العباسيين لمكة في توفير سبل الراحة لمن قصدها. ولمكانتها لا يمكن لأي مسلم أنَّ يبتعد أو يغفل عن الاطلاع عن تاريخ مكة المكرمة وكذلك باحث التاريخ الذي يبحث بين ثنايا الكتب والمصادر لاكتشاف مالم يذكر في المصادر من بعض الجوانب المتعلقة بتاريخ هذه البقعة

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م).تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن.- ط١.- تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي.- الجيزة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.-ج٩، ص٨-٩.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). الجامع الكبير-سنن الترمذي.(د.ط).- تحقيق: بشار عواد.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. باب في فضل مكة. (٣٩٢٥).

المقدسة، وانطلاقًا من هذه الأهمية اخترت موضوعًا بعنوان: "حج الخلفاء العباسيين ودُورهم في مكة خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)".

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث ودراسته وبما توفر لديَّ من مادة علمية أن يُقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث.

- المقدمة: وتشمل (التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره).
- التمهيد: وتشمل (الاهتمام بمكة عبر العصور الإسلامية).
- المبحث الأول: حج الخلفاء العباسيين وعنايتهم بإمرته.
- المبحث الثاني: الدُور في مكة في العصر العباسي الأول.
- المبحث الثالث: مهام ووظائف الدُور في مكة.
- وجاءت خاتمة البحث بعد هذه التقسيمات محتوية على أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، التي خرجت بها، ثم فهرس المصادر والمراجع التي خدمت البحث.

وأخيرًا يطيب لي أن يواصل هذا البحث مسيرة من سبقه في دراسة حج الخلفاء ودورهم ثم مهامها وأثرها وما تركته من أثر، من أهل العلم، فهو امتداد خجول لتلك الجهود، فعلى الرغم من ضحالة المادة العلمية إلا أنها استهوتني.

التمهيد: الاهتمام بمكة من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصر الدولة العباسية:

كانت بداية الاهتمام بمكة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته للمدينة، وفتح مكة؛ إذ وضع نظام الإمارة على الحج، حين عيّن أبا بكر رضي الله عنه أميرًا للحج وفوضه بذلك بحيث يتولى أمر الحجيج ويتدبر أمورهم فخرج بهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وكان ذلك في العام التاسع من الهجرة[٣]. وتوالت عناية الخلفاء الراشدين بذلك، فلم تقف عند تسيير قوافل الحج وتدبير أمور الحجاج بل شمل اهتمامهم كسوة الكعبة وعمارتها، واستمر الاهتمام في خدمة الحرمين الشريفين وما يتصل بهما من قربة لله تعالى.

وفي عصر الدولة الأموية اهتم الأمويّون بأمر مكة، ونالت من عناية الخلفاء وولاتهم الشيء الكثير وخاصة ما يتصل بأمر الحج حتى أنّ بعض الخلفاء قاد قافلة الحج بنفسه، كما امتدت عنايتهم بطرق الحج أيضًا، من حيث توفير كافة الخدمات التي يحتاجها الحجاج، إذ أنَّ اهتمامهم لم يكن مقصورًا على ذلك بل عمدوا إلى توفير المياه والطعام لأهل مكة المكرمة ولحجاج بيت الله وإنشاء الدور (الأربطة) حول المسجد النبوي لطلاب العلم ولمن جاء إليها[٤].

وخلال العصر العباسي الأول شهدت مكة اهتمامًا كبيرًا، وحظيت بعناية فائقة على مختلف الأصعدة، حيث كان الخلفاء العباسيون هم من يشرفون على منجزاتهم بأنفسهم ويتابعونها بدقة واهتمام بالغ، فاهتموا بالحج وطرقه كما أولوا عنايتهم الشديدة لبيت الله الحرام، فكانت تبذل الأموال في كل مجال له مساس بأمر الحجيج والعناية بهم. ويشمل ذلك العناية بالمرافق العامة من تسهيل للطرق وبناء للمساجد وإنشاء منازل ومحطات للراحة، كما شملت أيضًا رعاية الأيتام والأربطة ووقف الكتب وتوفير المياه وذلك بإصلاح الآبار أو حفر آبارٍ أخرى جديدة، وخير شاهد على ذلك عين زبيدة التي أسهمت بشكل كبير بتوفير السقيا لأهل مكة وحجاجها[٥]. وتواصل اهتمام الخلفاء العباسيين بمكة، فبعد أن بسطت الدولة العباسية سيادتها على مكة حرصت كل الحرص على اختيار الولاة الذين ترسلهم الدولة للحكم باسمها لذا كان الخلفاء يختارون لهم أفضل الولاة وغالبًا ما يكون من البيت العباسي، كما أن أمير الموسم في الحج إما أن يكون الخليفة بنفسه أو من يثق به وغالبًا ما يكونوا من الأسرة العباسية أيضًا، وذلك للمحافظة على نفوذهم والقضاء على أي ثورة خارجية تظهر، هذا بالإضافة إلى الأهمية الدينية لمكة.

---

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م). السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين.- القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د.ت). ج٤،ص ٥٤٣.

(٤) وقد ظهر في هذا المجال دراسة لحجازي حسن علي طراوة. بعنوان مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي.-ط١.-القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٣م.

(٥) والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى إلا أنه يمكن الإشارة إلى أبرزها والمتمثلة في بئر الرضم، وبئر العمق التي تسمى الخضراء، وعيون بالنباج، والشجي. (الحربي، إبراهيم بن إسحاق(ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م).المناسك وأماكن طرق الحج.-إشراف: عبد الله ناصر الوهيبي.- الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.-ص٣٩، ٢٧٢، ٣٢٨).

ووفقًا لهذا الاختيار فإن الوالي المكلف هناك يتوجب عليه أن يلبي كافة احتياجات سكان مكة و وافديها، فأوكلت له الدولة متابعة شؤون الرعية هناك، وليقوم بهذا الدور خصصت له الدولة مكان إقامة دائم يدير من خلاله أمر ولايته، ويتبعه فيه ما يحتاجه من أجهزة إدارية، فظهرت الحاجة لتجديد الدُور الرئيسية في مكة، بالإضافة لبناء دورٍ أخرى جديدة للخلفاء ونسائهم ورجال الدولة العباسية؛ لإقامتهم حين يفدون لمكة، ومرافقيهم من ضيوف الخلفاء وحاشيتهم، بالإضافة إلى قيامها بدور استقبال وسكن لزائري بيت الله الحرام ممن لم يجد له مسكن.

وصفوة القول أنَّ مكة المكرمة حظيت بالاهتمام والعناية خلال العصر العباسي الأول، على مختلف الأصعدة، السياسي والديني والاجتماعي والخيري، واضعين بالاعتبار خدمة ضيوف الرحمن نصب أعينهم بتوفير سبل الراحة والسكن لهم.

المبحث الأول: حج الخلفاء العباسيين وعنايتهم بإمرة الحج:

أولى خلفاء العصر العباسي الأول الحج جلّ عنايتهم كما حرصوا على تتبع شؤون الحجاج أثناء حجاتهم، كما امتاز الخلفاء في ذلك الوقت على الحرص على أداء مناسك الحج اثناء تولهم الخلافة والإقامة بمكة فترة من الزمن، يتفقدون فيها أحوال رعيتهم، وبطبيعة الحال هناك من منعته الأوضاع السياسية للدولة من أداء الفريضة حرصًا على تثبيت الحكم، ولم يحج الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح لظروف دولته فقد اكتفى بتسيير ركب الحج وعلى رأسه أخاه أبو جعفر المنصور. أما أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني فقد حج خمس حجّات في الأعوام التالية: (١٤٠هـ-١٤٤هـ-هـ١٤٧-١٤٨هـ-١٥٢هـ)، ولم تذكر المصادر التاريخية التي بين يدي أي مظاهر أو وصف لموكب حج الخليفة أبو جعفر المنصور، إذ يبدو لي أن خروج أبي جعفر المنصور وغيره من خلفاء العصر العباسي الأول لم تكن مصحوبة بمظاهر احتفالية أو تعظيمية لموكب الخليفة، ولعلي أُسند ذلك إلى أن خروجهم كان خروج العابد المتذلل الخاضع لربه، كما يمكن أن أُعزي ذلك لقرب عصرهم نسبيًا من عصر الرسول والخلفاء الراشدين فلعله من باب الاقتداء الخروج للحج بشكل متواضع، كما أنه لم يكن قد ظهر في زمنهم ما ظهر في العصور المتأخرة من مظاهر مصاحبة لخروج ركب الحج الذي يخرج فيه الخليفة أو السلطان لإعلان حجه، إلا أن هذا لا يعني عدم عنايتهم بما يخدمهم في الطريق حتى وصولهم إلى مكة فقد حرص الخليفة المهدي والذي حج في الأعوام التالية:(١٥٣هـ-١٦٠هـ-١٦٤هـ-١٦٦هـ) عند حجته عام ١٦٠هـ على نقل الثلج له من بغداد إلى مكة، [٦] ولعل هذا مما يحتاجه الخليفة نظرًا لحرارة الطقس في مكة.

أما الخليفة هارون الرشيد وهو أكثر خلفاء بني العباس مداومة على الحج والذي عُرف عنه تعاهده بالحج فقد بلغ عدد حجاته عشر حجات وهو بذلك يعد أكثر خلفاء بني العباس حجًا وكانت في الأعوام التالية: (١٧٠هـ-١٧٣هـ-١٧٤هـ-١٧٥-١٧٦هـ-١٧٧هـ-١٧٩هـ-١٨١هـ-١٨٦هـ-١٨٨هـ) فكان يحج عامًا ويغزو عامًا، وكان يصحب معه في حجه إذ حجَّ مئة من الفقهاء وأبنائهم.[٧] وهذا إشارة إلى موكب الخليفة العباسي في العصر الأول من يصحبه في المسير من بغداد إلى مكة، ولعلي ألاحظ أن الإشارة هنا اكتفت بذكر الفقهاء وحدهم دون غيرهم فهو لربما موكب متواضع يغلب عليه وجود الفقهاء دون غيرهم من رجال الدولة والحاشية ليكون موكبًا دينيًا لا ينقطع الذكر والتذكير فيه لحين الوصول إلى مكة. هذا ومن ناحية أخرى فقد تخلل هذه الحجات متابعة شؤون المسجد الحرام وتفقده، فقد سجلت مصادر العصر أول توسعة للمسجد الحرام في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور عندما حجَّ سنة ١٣٦هـ إذ شكا له الناس ضيقه،[٨] فاشترى من

---

(٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).تاريخ الأمم والملوك.- ط٤.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.-ج٤.-ص٥٥٨.

(٧) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.-ط٣.- دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزو.- بيروت: دار الكتب العلمية،(د.ت).-ج٨،ص٣٢٦؛ الجزيري. عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصار الجزيري الحنبلي(ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م).الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة.-ط٢.-أعده للنشر:حمد الجاسر.-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.-ج٣،ص ١٦٨١.

(٨) اليعقوبي، أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي (ت٢٩١/ ٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي.- ط٦.-بيروت: دار صادر، ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م.-ج٢،ص ٣٦٩؛ ابن دحية. أبي الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي علي حسن بن علي سبط الإمام أبي البسام الفاطمي(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس.-(د.ط).- صححه وعلق عليه عباس الغزاوي.-بغداد: مطبعة المعارف.١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.- ص٢٤.

الناس دوُرهم اللاصقة بالمسجد وأدخلها في المسجد[٩]، وكان عمل أبي جعفر بأساطين الرخام طاقًا واحداً وأزر المسجد كما يدور من بطنه بالرخام وجعل في وجه الأساطين الفسيفساء، وزخرف المسجد بالفسيفساء[١٠]. وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر وهو أول من رخمه وكانت زيادة المنصور ضعف زيادة من كان قبله[١١]، كما كان أول من ألبس المسجد الحرام المرمر من الداخل والخارج ومن أعلاه[١٢].وكان الفراغ من هذه التوسعة في ذي الحجة سنة أربعين ومئة، وقد وجد النص التأسيسي لعمارة المنصور على باب جمح[١٣].

أما الخليفة المهدي فعندما حجّ ورأى ضيق مساحة المسجد و معاناة الحجّاج من الزحام[١٤]، أمر بعمارة المسجد الحرام، و أن يزاد في أعلاه ويشترى ما كان في ذلك الموضع من الدُور، وخلَّف الأموال وكلّف بالعمارة قاضي مكة محمد الأوقص المخزومي، فاشترى جميع ما كان بين المسعى والمسجد من الدُور وما كان منها صدقة اشترى بدلًا عنه لأهلها، فهدمها وأدخلها في توسعة المسجد[١٥]، ولم يكتف المهدي بهذه التوسعة وذلك أنه لما حج سنة أربع وستين ومئة، رأى الكعبة في شق من المسجد الحرام، فكره ذلك، لعدم توسطها صحن المسجد، وأحب أن تكون متوسطة فيه، فدعا المهندسين وشاورهم في ذلك، فقدروا ذلك، إلا أنهم أخبروه بصعوبة ذلك البناء لهم و أن السيل عائق وذلك خوفًا من أن ينصرف على الدور والمساكن، ولم يكن المهدي ليرضى بذلك بل كان هذا العائق محفزًا له على القيام بتوسعة أعظم وإن اشتدت صعوبتها وعزم على ذلك؛ فقال لهم: لابدّ لي من أن أوسعه حتى أوسط الكعبة في المسجد على كل حال، ولو أنفقت فيه ما في بيوت الأموال، وعظمت في ذلك نيته، واشتدت رغبته، ولهج بعمله، فكان من أكبر همه[١٦].

وكانت زيادة الخليفة المهدي هذه تعادل عموم الزيادات التي زيدت بالمسجد الحرام من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى نهاية زيادة أبي جعفر المنصور،[١٧] وقد أنفق في هذه التوسعة أموالاً عظيمة المقدار، ولم يكن له في إنفاقه على العمارة نظير من الخلفاء، وقد خُلِّد عمل المهدي باسمه في مواضع من المسجد الحرام منها منارة قرب المنارة المعروفة بمنارة باب علي قرب الميل.[١٨] وقد وضع الخلفاء العباسيون رعاية الحجاج وخدمتهم نصب أعينهم منذ قيام دولتهم، فلم يثنهم بعد مكة عن مركز الخلافة في متابعة شؤون الحج والحجيج وتسهيل كل السبل لهم، وحرصًا منهم على ذلك كان الخليفة يتولى بنفسه إمارة الحج ويباشرها، فإمرة الحج ولاية سياسية، وتدبير وهداية، لأنَّها من أجلِّ المراتب الدينية، وأفخم الوظائف السنية.[١٩] فقد تولاها عدد من الخلفاء أثناء تولهم الخلافة أبو جعفر المنصور في الأعوام (١٣٦هـ-١٤٠هـ -١٤٤هـ-١٤٧هـ-١٤٨هـ-١٥٢هـ)و المهدي في عام (١٥٣هـ-١٦٠هـ)، وهارون الرشيد في الأعوام(١٧٠هـ-١٧٣هـ-١٧٤هـ-١٧٥-١٧٦هـ-١٧٧هـ-١٧٩هـ-١٨١هـ-١٨٦هـ-١٨٨هـ)،والمأمون عام (٢١٢هـ)، أما في بعض السنوات التي لا يخرج فيها الخلفاء للحج فإنهم يولونها أهل ثقتهم، ومن يرونه قادرًا على القيام بالمسؤولية كاملة؛ لعظم المنصب، وأهميته في تيسير أمور الحج والحجيج والعناية بمصالحهم، وغالبًا ما يكون من البيت العباسي، إذ يعين أمير الحج من قبل الخليفة العباسي عادة، ويكون ذلك بإصدار مرسوم يتضمن تكليف أمير الحج بهذه المهمة[٢٠].

---

(٩) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت بعد عام ٢٤٨ هـ/ بعد ٨٢٦م).أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار.-ط٩.- تحقيق: رشدي ملحس.- مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.-ج٢،ص ٧٢ ؛ الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي المكي(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه.-ط٥.- تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ج٢، ص١٦٢.

(١٠) الأزرقي. أخبار مكة.-ج٢،ص ٧٢

(١١)الحنفي. قطب الدين الحنفي (ت٩٨٨هـ/١٥٨٠م).تاريخ القطبي المسمى كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام.-(د.ط).-تقديم السيد محمد أمين كتبي، شرحه وعلق عليه ووضع صوره: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي.- مكة المكرمة: المكتبة العلمية بمكة المشرفة.(د.ت). ص٨٩.

(١٢) حسين عبد الله بإسلامة. تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك.-ط١.-بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١.-ص٢٩.

(١٣) الأزرقي. أخبار مكة.-ج٢،ص ٧٣-٧٤.

(١٤) محمد عبدالله القدحات. «جهود الخلافة العباسية في عمارة الحرمين الشريفين ومشاعر الحج في الحجاز» .- مجلة الدارة (دارة الملك عبدالعزيز).-ع ٣ (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦).- ص ١١٢.

(١٥) الأزرقي. أخبار مكة.-ج٢،ص ٧٤-٧٥.

(١٦) الأزرقي. أخبار مكة.-ج٢،ص ٧٩.

(١٧) بإسلامة. تاريخ عمارة المسجد الحرام.-ص٣٠.

(١٨) الفاسي، الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م).شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.-ط١.-تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.-ج١، ص٢٩٧.

(١٩) الجزيري. الدرر الفرائد.-ج١،ص٢٢٥.

(٢٠)خالد عزام حمد الخالدي. تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م).-ط٤.-الرياض: الجمعية التاريخية السعودية،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.- ص٩٩.

فالحج وإمارته من أهم القضايا التي تلقى اهتمامًا وعناية من الخلافة مباشرة، ويتم اختيار أمير الحج بعناية فائقة إذ سيتولى قيادة حجاج هذه الخلافة، فلا بد أنَّ يتسم بالفصاحة والكياسة والفطنة ولابد له أنَّ يكون ملماً بالأمور الشرعية مهتماً بمن يتولى أمرهم من الحجاج على اختلاف مستوياتهم وأنَّ يمثل الخليفة في أرض الحرمين خير تمثيل وأنَّ يحسن إلى أهل المدينتين المقدستين ويترك الانطباع الحسن عن إمارته مما سيكون له الأثر الحسن عند أهل مكة والمدينة.[٢١] ومن مظاهر حرص الخلفاء العباسيين على هذا المنصب أنَّهم لا يولونه من يخشون على المسلمين منه أو يخشون تعاظم سلطته ومن لم يحظ بثقتهم الكاملة حتى وإنَّ كان من رجال الدولة الأكفاء فقد عقد أبو العباس السفاح لأبي جعفر المنصور بإمارة الحج في موسم عام ١٣٦هـ دون أبي مسلم الخرساني[٢٢] الذي أتى من خرسان يستأذن أبا العباس السفاح فأذن له بالحج دون الإمارة واعتذر له معللًا ذلك بقوله:" لولا أنَّ أبا جعفر حاجّ لوليتك الموسم".[٢٣] إذ كان الأخير يطمح إلى هذا المنصب لعظمه وأهميته وشاهد آخر على اهتمام الخلفاء العباسيين بهذا المنصب وتقديمهم أمر الحجاج ومصلحتهم على رغباتهم السياسية، فقد عزم الخليفة الهادي على عزل هارون الرشيد عن الخلافة وأخذ البيعة لابنة جعفر لولا أنَّ يحيى بن خالد البرمكي[٢٤] نصحه بقوله:" أتظنّ أنَّ الناس يسلِمون الخلافة لجعفر؛ وهو لم يبلغ الحُلُم، ويرْضون به لصلاتهم وحَجِّهم وغزوهم! قال: والله ما أظن ذلك"[٢٥]، فقبل الهادي رأيه وقوله وعدل عن خلع هارون الرشيد على الرغم من مخالفة ذلك لهواه السياسي. كما كانت ولاية الحج وإمرة الموسم محطّ تنافسٍ بين الأمراء ورجال الدولة في الحصول عليها؛ لما لها من تشريف وما تضيفه على صاحبها من مكانة، فقد خلع العباس بن موسى[٢٦] الأمين وبايع للمأمون بالخلافة عندما وعده ذو الرئاستين الوزير الفضل بن سهل بولاية الموسم قائلًا: "لك عندي ولاية الموسم، ولا ولاية أشرف منها".[٢٧] هذا من ناحية اهتمام الخلفاء بالمنصب وأهميته لديهم أما مهام أمير الحج فأنَّه سيُكلف بمهام عظيمة تقتضي الحفاظ على أمن الطريق وتوفير كافة الخدمات التي يحتاجها قاصدي بيت الله وتسهيل الصعوبات بارتياد طرق واضحة خصبة ذات مياه كما يجب عليه حماية قافلة الحج حتى يتمكن الحجاج من أداء الفريضة بيسر وسهولة.[٢٨] فقد جعل خلفاء بني العباس خدمات الحجاج نصب أعينهم وليس أدل على اهتمامهم بأمر الحجاج وتنظيم أمورهم من أنَّ الخليفة أبا العباس السفاح هو أول من أمر بوضع علامات على الطريق في عام ١٣٤هـ؛ ليستدل بها الحاج من الكوفة إلى مكة.[٢٩] كما كان أمن السبل شغل الخليفة أبي جعفر المنصور في صدر نهاره؛[٣٠] ذلك أنَّ خدمات الطرق من الجوانب المهمة التي عني بها العباسيون حيث عملوا على تسهيلها وتسويتها وضبط الأمن فيها ومتابعتها وتوفير كافة الخدمات فيها من مياه وآبار ومصانع وبرك واستراحات للحجاج ومنازل على طول طرق الحج، ففي سنة إحدى وستون ومئة

---

(٢١) مشعل نايف عايض الدهاس. الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.-رسالة ماجستير غير منشورة.-قسم التاريخ والحضارة بجامعة أم القرى.- مكة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.-ص١٨١.

(٢٢) اسمه عبدالرحمن بن مسلم ويقال عبدالرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، أبو مسلم المروزي، صاحب الدعوة العباسية، وهازم جيوش الأمويين والقائم بإنشاء الدولة العباسية، ولد عام ١٠٠هـ، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن وقيل ببغداد عام ١٤٠هـ (الذهبي. سير أعلام النبلاء.-ج٦،ص٤٨؛ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م).تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدثيها وذكر قُطانها العلماء من أهلها ووارديها.- ط١.- تونس: دار الغرب الإسلامي.١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.-مج١١،ص٤٦٥-٥٧١).

(٢٣) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٤،ص٣٧٤؛ مؤلف مجهول. كتاب العيون والحدائق في أخبار الخلائق.-(د.ط).-بغداد: مكتبة المثنى. ١٢٨٨هـ/١٨٧١م.-ج٣،ص٢١٣.

(٢٤) يحيى بن خالد بن البرمكي ،أبو علي، الوزير الكبير، كان المهدي قد ضمَّ الرشيد إليه وجعله في حجره، فلما استخلف الرشيد هرف ليحيى حقه، وكان يعظمه، ورد إليه مقاليد الوزارة، مات في السجن، عام ١٩٠هـ، وله ٧٠ سنة. (الخطيب البغدادي. تاريخ مدينة السلام.-مج١٢،ص١٩٥؛ الذهبي. سير أعلام النبلاء.-ج٩،ص٨٩-٩١؛ ابن خلكان. وفيات الأعيان.-ج٦،ص٢١٩-٢٢٩).

(٢٥) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٤،ص٦٠٦.

(٢٦) العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله الهاشمي العباسي، والي مصر وليّ إمرة الموسم لعام ١٨٩هـ،١٩٦هـ، ١٩٧هـ،١٩٨هـ، ولاه المأمون أمر صلاة وخراج مصر عام ١٩٨هـ، توفي عام ١٩٩هـ وقيل مات مسمومًا(الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج٤،ص٦٧٥،ج٥،ص٧٣، ١٢١ ؛ابن تغرى بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.-ط١.-قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين.- بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.-ج٢،ص٢٠٣).

(٢٧) الطبري.تاريخ الأمم والملوك.-ج ٥،ص٣٣.

(٢٨) للاستزادة أكثر حول مهام أمير الحج الاطلاع على الباب العاشر في الولاية على الحج (الماوردي. أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية.-(د.ط).-بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).- ص١٣٧).

(٢٩) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٤،ص٣٧٠؛ مؤلف مجهول. العيون والحدائق.- ج٣،ص٢١١.

(٣٠) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٤،ص٥٢٢.

للهجرة (أمر المهدي بحفر الركايا وعمل المصانع[٣١] وبناء القصور على طريق مكة وولى على ذلك يقطين بن موسى[٣٢] فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومئة حتى صار طريق الحجاز من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها).[٣٣]

وقد اعتبر الخلفاء العباسيون الحجاج أمانة في أعناقهم إذ دأبوا على مراقبة ولاة الطرق ومحاسبتهم في حال تقصيرهم حيث أفادت المصادر التاريخية أنَّ المهدي غضب على يقطين بن موسى؛ بسبب قلة الماء عندما أراد الحج في عام ١٦٤هـ فعدل عن الحجِ خشية أنَّ الماء لا يكفي الناس[٣٤] وكذا عدل الواثق أيضًا عن الحج في موسم عام ٢٣١هـ، إذ طلب من متولي الطريق عمر بن فرج الرخجي[٣٥] تجهيزه وإصلاحه فرجع وأخبره بقلة الماء فترك الحج،[٣٦] ولعله أراد بذلك أنَّ يترك المجال لغيره من المسلمين حتى يكفيهم ما بقي منه.

كما حرصوا على مساعدة الرعية على الحج وأداء الفريضة على أكمل وجه وبكل كرم، فمن ذلك ما تذكره لنا المصادر التاريخية عن الخليفة هارون الرشيد أنه كان إذا حجَّ حَجَّ معه مئة من الفقهاء وأبنائهم فإذا لم يحج أَحَجَّ ثلاث مئة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الكاملة الفاخرة متحملًا بذلك كافة نفقاتهم واحتياجاتهم.[٣٧]

المبحث الثاني: الدُور في مكة في العصر العباسي الأول:

مما يشار إليه في بداية هذا المبحث هو أنه يمكن إيضاح معنى الدور وفق المفهوم اللغوي، فالدَّار في اللغة تعنى المَحل الذي يجمع الْبناء والساحة.[٣٨] وأما المقصود بالدور هنا، المباني أو الدور التي بناها الخلفاء العباسيون لهم أو لغيرهم أو جددوا ما بني قبلهم في مكة سواء كان لسكنهم أو سكن حاشيتهم أو من يأتي للحج من الغرباء ويقيم في مكة من الفقراء؛ لخلو المدن آنذاك من أماكن الضيافة والراحة، وقد تحولت فيما بعد لأربطة تخدم أبناء السبيل. وقد أشارت المصادر التاريخية للعديد من الدور في مكة المكرمة خلال الحكم العباسي، وكان من أهم تلك الدور:

١- دار الندوة:

سبب التسمية: سميت بدار الندوة لاجتماع النداة فيها، أي كرماء القوم وأعيانهم، يندونها، يجلسون فيها لإبرام أمرهم وتشاورهم.[٣٩]

موقع الدار، وملكيتها: اختلف الناس في تحديد موضع دار الندوة، وقد حُدد موقعها وفقًا لما اختلف فيه الناس وكان ذلك على قولين فمنهم من يقول: أنَّ مكانها لا يعرف بصورة دقيقة، ولكنها واقعة بين المقام الحنفي ورواق باب الزيادة، ومنهم من يقول: أنَّ مكانها هو رحبة باب الزيادة بما في ذلك الحصباء والرواق.[٤٠] ومهما يكن من أمر الاختلاف في تحديد موقعها بدقة، فقد حدَّد الكردي موقع الدار على الأرجح بعد دراسة قام بها إذ يرى أنَّ محل دار الندوة وفناءها هو رحبة باب الزيادة بما في ذلك الحصباء والرواق.[٤١] فهو يحددها بمكان باب

---

(٣١) المصانع مايصنعه الناس من الآبار، وقيل هي أحباس تتخذ للماء.(ابن منظور. لسان العرب.- مج٤، باب الصاد، ص٢٥٠٩).

(٣٢) يقطين بن موسى، أحد دعاة دولة بني العباس، كان داهية ذا رأي، حازمًا شجاعًا، توفي عام ١٨٦هـ.(الصفدي. الوافي بالوفيات.-ج٢٩،ص٢١؛ ابن كثير. البداية والنهاية.-ج١٠،ص٤٦٢.

(٣٣) ابن كثير.البداية والنهاية.-ج٣،ص٢٠٢١.

(٣٤) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٤،ص٥٧٠؛ ابن الأثير.الكامل.-ج٥،ص١٧٠.

(٣٥) عمر بن فرج الرخجي، تولى إصلاحات عدة في الحرمين زمن المعتصم، سخط عليه المتوكل فحبسه بسر من رأى عام ٢٣٣هـ، وأقام به سنتين وتوفي هناك.(اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي.-ج٢،ص٤٨٥؛ ابن فهد. النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن فهد(ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).إتحاف الورى بأخبار أم القرى .-(د.ط.) تحقيق فهيم محمد شلتوت.- مكة المكرمة: مطابع جامعة أم القرى.(د.ت).-ج٢،ص٢٩٠-٢٩١).

(٣٦) الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج ٥،ص٢٨٤؛ ابن الأثير.الكامل.-ج ٦،ص٦٨؛ ابن فهد .إتحاف الورى.-ج٢،ص٣٠٠.

(٣٧) الطبري.تاريخ الأمم والملوك.-ج ٥، ص ١٦؛ الكوفي.أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) كتاب الفتوح.-ط١.-الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.-ج٨،ص٢٨٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .- ط١.- اعتنى به عادل بن سعد.-بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.-ج٣،ص٢٢٢؛ الفاسي.الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م).العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.- ط١.- تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية.١٤١٩هـ/١٩٩٨م.- ج١، ص١١١ .

(٣٨) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (د.ط.)، القاهرة: دار الدعوة (د.ت.).-ج١.-ص٣٠٢.

(٣٩) الأزرقي، أخبار مكة.-ج١.-ص١٠٩؛ الكردي. محمد طاهر الكردي المكي (ت ١٤٠٠هـ/١٧٩٧م).التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم.-ط٣.- إشراف: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.-ج٢.-ص٧٨.

(٤٠) الكردي، التاريخ القويم.-ج٢.- ص٨١.

(٤١) التاريخ القويم.-ج٢.-ص٨١ ولمن أراد الاستزادة يمكنه الرجوع للمصدر.

الزيادة وهو أحد أبواب المسجد الحرام. أما ملكيتها فتعود لقصي بن كلاب،[٤٢] وفيها كانت قريش تقضي أمورها،[٤٣] ثم أصبحت دارًا للخلفاء من بعده.

عمارتها: كانت هذه الدار معروفة منذ الجاهلية حتى العهود الإسلامية، واتخذها الخلفاء دارًا خاصة حينما ينزلون إلى مكة للحج، كما حدث في عصر الدولة العباسية، ونظرًا لأهميتها أجروا عليها بعض التغييرات، إذ أدخل الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) جزءًا منها عند توسعة المسجد الحرام، كما جعل لها بابًا على الحرم بعد التوسعة، وقد تعاقب على الإقامة في هذه الدار عددًا من خلفاء بني العباس إذا حجوا، وهم:(أبو العباس وأبو جعفر المنصور والمهدي (١٥٨- هـ١٦٩/ ٧٧٥-٧٨٥م) وموسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)، وهارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، إلى أن ابتاع هارون الرشيد دارة الإمارة وبناها.[٤٤] وفي اعتقادي أن هذه الدار طالها شيء من الترميم والتحسين وإن لم تفصح عنه المصادر القديمة إذ يكفينا من ذلك إشارة الأزرقي أن أبا جعفر المنصور فتح لها بابا على الحرم مما يؤكد تدخل البنائين فيها، كما يشير ذلك إلى كبر مساحتها فعلى الرغم من اقتطاع جزء منها للحرم إلا أنها بقيت تؤدي دورها دارًا للإمارة، وهذه المساحة لابد أنها استغلت على أحسن وجه لتبقى دار الإمارة مناسبة لإقامة الخلفاء وحاشيتهم باعتبارها منزلا لهم ينزلونها حين يفدون إلى مكة، فتبقى هذه الدار كما عهدوها متهيئة لمن يفدها وبأحسن صورة.

٢- دار الخيزران (الأرقم بني أبي الأرقم المخزومي):

سبب التسمية: كانت تعرف هذه الدار بداية باسم دار الأرقم، وتعود تسميتها بهذا الاسم نسبة إلى صاحبها الصحابي الأرقم بني أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه ،[٤٥] كما تسمى بالمختبأ أيضًا؛ لأن الرسول ﷺ وصحابته قد اختبئوا فيها ببداية الدعوة، ثم سميت بعد ذلك بدار الخيزران. نسبة للخيزران[٤٦] زوجة المهدي بعد انتقال الدار لها.[٤٧]

موقع الدار، وملكيتها: تقع هذه الدار عند الصفا. أما ملكيتها فأصلها دار كانت للأرقم بني أبي الأرقم المخزومي تصدق بها على أبنائه، ومن ثم اشتراها أبو جعفر المنصور منهم وأعطاها لابنه المهدي، ثم وهبها المهدي لزوجته الخيزران،[٤٨] بينما يُذكر أن المهدي اشتراها بسبعة عشر ألف دينار ووهبها للخيزران[٤٩] و يظهر لي أنَّ القول الأول أرجح؛ باعتبار قرب المصدر من الحدث.

عمارتها: وعلى أية حال فقد ظهر اهتمام الخيزران حينما تملكتها، إذ أعادت ترميمها وتعميرها ولذلك عرفت باسمها، ثم حولتها لمسجد في عام ١٧١هـ/٧٨٨م،[٥٠] وقامت بتوسعتها عبر شراء الدور التي حولها، وإحياء لذكرى هذه الدار بجوار دارها التي اشترتها؛ لذلك عرفت باسم "دار الخيزران" من باب إطلاق الجزء على الكل، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى قيام الخيزران بشراء عدد من الدور التي حولها،

---

(٤٢) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. اسمه: زيد. وكان يسمى: مجمّعا وذلك أنه جمع قبائل «قريش» فأنزلها مكة، وبنى دار النّدوة، وأخذ المفتاح من «خزاعة». (الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م). المعارف.- (د.ط).- تحقيق: ثروت عكاشة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.- ص ٧٠؛ الأندلسي، ابو الحسن علي بن سعيد الأندلسي المغربي (ت بعد ٥١٦هـ/ ١١٢٣م). نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب.- تحقيق: نصرت عبد الرحمن.- عمان: مكتبة الأقصى. - ص٣٢٣).

(٤٣) الأزرقي، أخبار مكة.-ج١.-ص١٠٨.

(٤٤) الازرقي، أخبار مكة.-ج٢.-ص٧٢-٧٣، ص ٧٧، ص١١٠؛ الكردي، التاريخ القويم.-ج٢.- ص٨٠.

(٤٥) أرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، داره أول دار في الإسلام، توفي عام٥٥هـ، وعمره بضع وثمانين سنة. (ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م).الطبقات الكبير.-ط٢.- تحقيق علي محمد عمر.- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.-ج٣.-ص٢٢٥-٢٢٣).

(٤٦) الخيزران الجرشية، اعتقها المهدي وتزوجها فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها وغير ولأدة أم الوليد وسليمان بن عبدالملك، رزقت من سعادة الدنيا مالا يوصف، كان نصيب غلتها في السنة مئتي ألف وستين ألفًا، توفيت عام ١٧٣هـ.(البغدادي، تاريخ مدينة السلام.-مج١٦.-ص٦١٦-٦١٧ ؛الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد لن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.-ط١.- تحقيق: بشار عواد معروف.-بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- مج٤.-ص٦١٥).

(٤٧) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.- ص٢٠١،٢٦٠.

(٤٨) ابن سعد، الطبقات الكبير،ج٣،ص٢٢٤-٢٢٥؛ الأزرقي، أخبار مكة .-ج٢.-ص٢٠١،٢٦٠ .

(٤٩) المرجاني، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن عبدالملك المرجاني(ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م).بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار.-ط١.- دراسة وتحقيق: محمد عبدالوهاب فضل.- بيروت: دار الغرب الإسلامي.١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.-ج١.-ص٢٦٧.

(٥٠) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.-ص ٢٦٠،ص٢٠١ ؛ الفاكهي، أخبار مكة.- ج٤.-ص١٢.(وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن هذه الدار دخلت في المسجد الحرام زمن توسعة المهدي إلا أن هذا الخبر قد تمت مناقشته من قبل الكردي في التاريخ القويم ،والدكتور ناصر الحارثي في بحث الذي تناول فيه هذه الدار بالدراسة التاريخية العميقة، فقد وضحا الأدلة والمسوغات التي جعلتهم يستبعدون دخول الدار في التوسعة المذكورة، وهذا ما أراه صحيحًا).الكردي، التاريخ القويم.-ج٢.-ص ٨٨-٨٩؛ ناصر بن علي الحارثي. «دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي».-مجلة الدارة.-ع٣(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).- ص٣٩.

فهدمتها، وبنتها دارًا لها، وبذلك فإن دار الأرقم ليست دار الخيزران، بل كانت بجوارها. [٥١] ثم أصبحت هذه الدار فيما بعد رباطًا متسعة للفقراء وطلبة العلم والمسافرين.[٥٢] تتوفر فيها كافة المرافق التي تخدم قاطنيها حيث يذكر الأزرقي: "الدار التي عند الصفا، يقال لها دار الخيزران، وفيها مسجد يصلى فيه، كان ذلك المسجد بيتا، كان يكون فيه النبي".[٥٣] إلا أن هذا لا يعني أن دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي أعيد توظيفها عام ١٧١هـ/٧٨٨م؛ لتصبح مسجدًا بعد أن كانت دارا للسكنى قد قامت بدور الرباط الذي يسكنه الفقراء، وطلبة العلم، والغرباء، بل إن الرباط المقصود هنا يتمثل في الدور التي اشترتها الخيزران حول دار الأرقم.[٥٤]

٣- دار العجلة:

سبب التسمية: عرفت هذه الدار بدار العجلة لأن عبد الله بن الزبير حين بناها عجّل وبادر في بنائها، فكانت تبنى بالليل والنهار حتى فرغ منها سريعاً، وقال بعض المكيين: إنما سميت دار العجلة لأن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البخت [٥٥] والبقر.[٥٦]

موقع الدار، وملكيتها: تقع هذه الدار شمال المسجد الحرام،[٥٧] أما ملكيتها تعود لابن الزبير، إذ يذكر أنها بنيت على يد عبد الله بن الزبير على أرضٍ اشتراها لهذا الغرض.[٥٨] إلا أنَّه قد ظهر لي من يذكر أنه ربما كانت هذه الدار موجودة قبل ابن الزبير كما يقول الكردي :"فدار العجلة ربما كانت موجودة قبل ابن الزبير في عهد أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما"[٥٩] وعلى الرغم من ذلك إلا أنني استبعد ذلك للأسباب الآتية:

١- أنَّ هذه الدار كانت أرضًا خالية، لم تعرف من قبل حتى اشتراها عبد الله بن الزبير وهذا ما يتوافق مع ما ذكره الأزرقي في أنَّ من بناها هو ابن الزبير.

٢- أنَّ دار العجلة لم تكتسب هذا الاسم إلا بعد عمارة عبد الله بن الزبير لها، وعليه فقد ظهرت شهرتها.

٣- أنَّ الأزرقي من أهل مكة ومِن مَن عاش في القرن الثاني الهجري، فهو الأقرب مكانيًا وزمانيًا لمكة المكرمة وعليه فقوله الأصوب لدي.

عمارتها: وقد أُجريت لهذه الدار عدة ترميمات وإصلاحات في العصر العباسي، وهي كالآتي:

١- في سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م جددها يقطين بن موسى[٦٠] للخليفة المهدي، في أول حجة له بعدما تولى الخلافة؛ ليقيم فيها أثناء موسم الحج فوسعها وأجرى لها عدة إصلاحات بإضافة بعض الدور لها،[٦١] ويقول الأزرقي عن موضعها قبل التوسعة أنه :"كان بين دار العجلة وبين جدر المسجد وكان طريقاً مسلوكاً يمر فيه سيل السويقة وسيل ما أقبل من جبل شيبة بن عثمان، ولم تزل تلك الطريق على ذلك حتى سدها يقطين بن موسى حين بنى دار العجلة".[٦٢] ثم يقول: "ثم دخلت الدار التي كان فيها بيت المال في دار العجلة حين بناها يقطين بن

---

(٥١) الحارثي، دار الأرقم.- ص٤٦.

(٥٢) الفاسي، شفاء الغرام.-ج١.-ص٥٥٥.؛ الصباغ. محمد أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي(ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام.-ط١.- تحقيق:عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.-ج١.-ص٤٣٣.وللاستزادة حول هذا الموضوع يمكن الاطلاع على بحث الأستاذ ناصر الحارثي المنشور في الدارة.-ص٤٢.

(٥٣) الأزرقي، أخبار مكة .-ج٢.-ص٢٦٠.

(٥٤) الحارثي، دار الأرقم.- ص٤٣.

(٥٥) البخت، وهي الإبل الخراسانية «٢». يقال هي لغة عربية، ويقال: إنها أعجمية معربة.(اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون .-بيروت: دار الفكر المعاصر.-ط١ .١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.-ج.-ص ٤٤٢).

(٥٦) الأزرقي، أخبار مكة .-ج٢.-ص ٢٥٢.

(٥٧) حسين عبدالعزيز حسين شافعي، الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي،ط١، مكة المكرمة: الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.-ص٢٦، نقلًا عن محمد طه صلاح بكري، الحجاز، ص٢١٤.

(٥٨) الأزرقي،ج٢،ص٢٥٢.

(٥٩) التاريخ القويم، ،ج٢،ص٨٢.

(٦٠) يقطين بن موسى، أحد دعاة دولة بني العباس، كان داهية ذا رأي، حازمًا شجاعًا، توفي عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م.(الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ- ١٣٦٣م).الوافي الوفيات.- ط١.- طالعه: يحيى بن حجي الشافعي؛ تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى.-بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.-ج٢٩.- ص٢١؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).البداية والنهاية.- ط٢.- دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير.١٤٣١هـ/٢٠١٠م.-ج١٠.-ص٤٦٢).

(٦١) الأزرقي، أخبار مكة.- ج٢.- ص٤٩.

(٦٢) أخبار مكة.-ج٢.-ص٧٧.

موسى للمهدي أمير المؤمنين".[٦٣] وهذا النص يكشف لنا التعديلات التي حصلت للدار، فزيد في مساحتها ووسعت للخليفة المهدي، ثم سد الطريق إذ أصبحت هذه الدار منزلًا للخليفة، فمن غير المناسب أن يمر السيل من دار الخليفة؛ وذلك تكريمًا ومهابّة للخليفة.

٢- كما أعيد ترميمها في سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، حيث أمر المعتصم بإعادة إعمار هذه الدار بعدما خُرِبت على يد اعدائهم العلويين[٦٤] وأضاف لها أبواب وشبابيك، ويقول الأزرقي في ذلك: "وفي هذا الشق جناح من دار العجلة، كان أشرع للمهدي أيام بنيت في سنة ستين ومائة فلم يزل ذلك الجناح على حاله حتى جاءت المبيضة، فقطعه حسين بن حسين العلوي، ووضع الجناح لاصقاً بالكواء التي كانت على أبواب الجناح في سنة ستين ومائتين في الفتنة فلم يزل على ذلك، حتى أمر أمير المؤمنين المعتصم بالله في سنة إحدى وعشرين ومائتين، بعمارة دار العجلة فاشرع الجناح وجعل شباكه بالحديد وجعلت عليه أبواب مزرة تطوى وتنشر فهو قائم إلى اليوم".[٦٥] وهذا النص يظهر مدى التخريب الذي حصل للدار على يد العلويين، إذ يتضح من اعتدائهم عليها مدى أهميتها بالنسبة للخلفاء، وارتباطها المباشر بهيبة الخلافة كما يظهر مكانة هذه الدار لدى المعتصم لحرصه على إعادة إعمارها، مما يؤكد أن هذه الدار كان لها دور مهم في تاريخ مكة حتى وإن لم تذكره المصادر المتاحة.

٤- دار القوارير:

<u>سبب التسمية</u>: سميت هذه الدار بدارِ القوارير نسبة للقوارير التي دخلت في صناعتها.[٦٦]

<u>موقع الدار، وملكيتها</u>: تقع الدار بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شيبة،[٦٧] آنذاك، وكان أصلها أرض منحها الخليفة هارون الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي[٦٨] في خلافته، ثم قُبضت (سحبت) في أموال جعفر فيما بعد، فبناها حماد البربري[٦٩] والي مكة للخليفة، كما عرفت هذه الدار أيضًا بدار أمير المؤمنين.[٧٠] أي الخليفة هارون الرشيد.

<u>عمارتها</u>: بنى حماد البربري هذه الدار وأحسن عمارتها فلم تكن موجودة من قبل إذ كان أصلها أرضًا أقطعها هارون الرشيد لجعفر بن يحيى في خلافته، ثم قُبضت في أموال جعفر فبناها حماد البربري للرشيد بالرخام والفسيفساء من خارجها، وبنى باطنها بالقوارير والمينا الأصفر والأحمر.[٧١] ثم عرفت فيما بعد بدار أمير المؤمنين، وعندما تحدث الصباغ عن الدور التي أدخلت في المسجد الحرام في توسعة المهدي الأولى قال:" وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى، حتى استقطعها جعفر من الرشيد لما آلت الخلافة إليه، فبناها داراً ثم آلت إلى حماد البربري فعمّرها، وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء".[٧٢] وللجمع بين القولين السابقين يمكن أن يكون جعفر بن يحيى بنى هذه الدار له لأنها قُبضت مع ما قبض من أمواله وعندما تولى حماد البربري ولاية مكة أعاد ترميمها وإصلاحها؛ لتناسب مقام

---

(٦٣) الازرقي، أخبار مكة.- ج٢.- ص٢٥٢.

(٦٤) المقصود بها الفتنة التي قام بها الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالأفطس، ولاه أبو السرايا مكة والموسم عام ١٩٩هـ، فلما تولاها قلع شبابيك المسجد الحرام وأخذ أساطين الذهب والفضة التي فيه كما أخذ مافي خزانة الكعبة من أموال، فكان ذا سيرة سيئة.(الأندلسي، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).جمهرة أنساب العرب.-ط١.- تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال.-القاهرة: شركة نوابغ الفكر.١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.-ص٦١؛ الفاسي.الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.-ط١.- تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.-بيروت: دار الكتب العلمية.١٤١٩هـ/١٩٩٨م.-مج٣.-ص٤١٧-٤١٩).

(٦٥) أخبار مكة.-ج٢.- ص٩٥.

(٦٦) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.-ص٢٥٠. (وقد بحثت فيما أتيح لي من مصادر عن القوارير إلا أني لم أوفق في العثور على توضيح لها، وفي اعتقادي أن القوارير هنا شيء من الزجاج الغالي أو ربما الملون، يستخدم لتزيين دور ومنازل الخلفاء).

(٦٧) الفاسي، شفاء الغرام.-ج١.- ص ٤٣٠.

(٦٨) هو جعفر بن يحيى بن خالد، أبو الفضل البرمكي، كان ذا فضل ومكانة، غضب عليه الرشيد في آخر أيامه فقتله، ونكب البرامكة لأجله.(الخطيب البغدادي، أخبار مدينة السلام.-ج٨.-ص٣٠).

(٦٩) حماد البربري، كان مولى لهارون الرشيد وأعتقه في أول خلافته، ثم ولاه ولاية اليمن، وأقام على اليمن ١٣ سنة وسام أهالها سوء العذاب حتى استنجدوا بهارون ليعزله إلا أنه رفض ذلك، كما ولاه ولاية مكة مع اليمن عام ١٨٤هـ،وله العديد من الإصلاحات هناك.(اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي.-ج٢،ص٤١٣؛ الأزرقي. أخبار مكة.-ج ٢،ص١٧٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.-ج٩.-ص٩٢.

(٧٠) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.- ص٢٥٠؛ البلاذري. أبو الحسن البلاذري (ت ٢٩٧هـ/ ٨٩٢م). فتوح البلدان.- عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان.- بيروت: دار الكتب العلمية.١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.-ص٦٤.

(٧١) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢،ص٢٥٠. فتوح البلدان، البلاذري.- ص٦٤.

(٧٢) تحصيل المرام.-ج١.- ص٣٣٨.

الخليفة، وقد صارت هذه الدار بعد الرشيد لأم جعفر زبيدة بنت أبي الفضل بن المنصور أمير المؤمنين،[٧٣] ثم تداولتها الأيدي حتى أصبحت رباطين متلاصقين يدعى أحدهما رباط المراغي والثاني رباط السدرة، ولا يعرف تاريخ وقفها ولا من وقفها.[٧٤]

٥- دار الخلد:

موقع الدار وملكيتها: تقع على حي يقال له الصيادلة، بين الصفا والمروة. تعود ملكيتها للخليفة هارون الرشيد.[٧٥]

عمارتها: اشترى الخليفة هارون الرشيد أرضًا وبناها له حماد البربري،[٧٦] ويظهر لي أنه بناها خلال ولايته لمكة آنذاك أي في حوالي عام ١٨٤هـ/٨٠٠م.[٧٧] ويبدو لي أن حماد يتمتع بحس هندسي عالي وبراعة في حسن البناء؛ لاختيار هارون الرشيد له لبنايته لدوره في مكة، فبنى دار القوارير وبنى دار الخلد، و يبدو لي أن تسميتها بدار الخلد محاكاة لقصر الخليفة هارون الرشيد في بغداد المعروف بقصر الخُلد.

٦- دار ابن عاصم:

ويعود تسمية الدار بدار ابن عاصم نسبة للعاصميين[٧٨] ملاكها الأوائل. وهذه الدار أشار لها الأزرقي حيث ذكر أنها لجعفر بن أبي جعفر أمير المؤمنين ثم اشتراها الخليفة هارون الرشيد؛[٧٩] لتكون ضمن دوره في مكة، وفي اعتقادي أن هذه الدار ضمن الممتلكات الخاصة بالخليفة هارون الرشيد ليكون فيها نزوله ونزول حاشيته الخاصة، عوضًا عن الإقامة جميعًا في دار الإمارة، كما لم ترد إشارة إلى موقعها وعمارتها. هذا ولم يقتصر بناء الدور على خلفاء الدولة العباسية ورجالها، بل امتد أيضًا للخدم والحاشية فقد وجدت إشارات عند الأزرقي[٨٠] إلى عددٍ من الدور المتفرقة منها دار ياسر خادم زبيدة [٨١] ودار عبدالصمد بن علي.[٨٢]

المبحث الثالث: مهام ووظائف الدُور في مكة:

حرص الخلفاء العباسيون على خدمة الوافدين لبيت الله الحرام وتسهيل كافة العقبات التي تواجههم في أداء مناسكهم، حرصًا منهم على أن تتم هذه الأعمال على أكمل وجه، وقد أخذوا على عاتقهم تذليل كافة الصعوبات التي تواجه الحجاج والزائرين، من تمهيد للطرق وتحقيق الأمن لسالكيها، واختيار ولاة قادرين على الاهتمام بالوافدين على وجه الخصوص، وليتم ذلك على الوجه المطلوب فقد عمدوا إلى توفير أماكن لإقامة حجاج بيت الله الحرام وزائريه، وبالنظر للاهتمام المبذول لتلك الدور يمكن استقراء شيء من خصائصها بالإضافة لدورها السياسي والاجتماعي والخيري. وبالنظر إلى الدور بداية يمكن القول أنَّ لهذه الدور دورًا سياسيًا مهمًا فهي تشبه نوعًا ما القصور الرئاسية أو الدور الملكية، إذ تمثل المكان الأساسي والرسمي لإقامة الخليفة، ويمكن أن أدلل على ذلك بما سبق ذكره عند الحديث عن دار الندوة، وبإقامة الخليفة بتلك الدار يثبت شرعية الدولة الحاكمة بالحكم كما أن في إقامة الخليفة فيها تصريح بحكم الدولة العباسية، خاصة أثناء وجود نوع من الاضطرابات الأمنية في مكة والمدينة آنذاك اثناء ثورات العلويين. ومن ناحية أخرى فهي مقر حكم والي مكة بالإضافة إلى ما يتبعه من أجهزة إدارية ومنها بيت مال المسلمين ويُمكن أن يُستدل على ذلك من قول الأزرقي: "ثم دخلت الدار التي كان فيها بيت المال في دار العجلة حين بناها يقطين بن موسى للمهدي أمير المؤمنين".[٨٣] ونخلص من هذه الرواية أنَّ دار العجلة ضمت إليها دارًا فيها

---

(٧٣) أم جعفر، أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، لقبها جدها المنصور بزبيدة، زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، معروفة بالخير والأفضال الكثيرة ولها مآثر على طريق مكة من مصانع وبرك أحدثتها، توفيت عام٢١٦هـ(الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام.-مج١٦،ص٦١٩-٦٢٠؛ الذهبي. سير أعلام النبلاء.-ج١٠.- ص٢٤١).

(٧٤) الفاسي، شفاء الغرام.- ج١.- ص ٤٣٠.

(٧٥) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.- ص ٢٥٥.

(٧٦) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.- ص ٢٥٥.

(٧٧) ولى الخليفة هارون الرشيد حماد البربري على مكة عام ١٨٤هـ الطبري، تاريخ الأمم والملوك.-ج٤.- ص٦٤٨.

(٧٨) أما العاصميين فلم أقف على معلومات لهم في مصادر البحث، ويظهر لي أنها أحد الأسر المعروفة في مكة آنذاك.

(٧٩) أخبار مكة.-ج١.- ص٢٥٥.

(٨٠) أخبار مكة.-ج٢.-ص٢٦٦،٢٦٤.

(٨١) ولم أقف على مزيد تفصيلٍ عند المصادر عن ياسر إلا أنه كان خادمً لزبيدة.

(٨٢) عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس العباسي، ولد بالحميمة عام ١٠٤هـ، ولاه المنصور مكة ثم المدينة والبصرة، قام بالحج عدة سنين، مات ببغداد عام ١٨٥هـ، وله من العمر ٧٩ وقيل ٨١ سنة. (الطبري. تاريخ الأمم والملوك.-ج٤،ص٤٩٧،ص٦٢١؛ الفاسي. العقد الثمين.-ج٥،ص٨٠-٨١).

(٨٣) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.- ص٢٥٢.

بيت المال ولم توضح الرواية أن بيت المال أزيل أو نقل بعد هذه الإضافة مما يقوي احتمالية أن للدور أهمية سياسية مهمة فهي مركز الحكم ودار الإمارة، ومنها تدار شؤون مكة عامة. ثم إنَّ مما يقوي احتمالية قيام الدور بدور إداري أنه لم يكن يطلق عليها تسمية قصر على الرغم من وجود قصورًا للخلفاء آنذاك، في بغداد والكوفة وغيرهم من المدن. كما قد تخصص بعض الدور لتكون دور ضيافة لاستقبال الخليفة وضيوفه، مثلما فعل حماد البربري عندما بنى الدور للخليفة هارون الرشيد، خاصة في بداية توليه ولاية مكة؛ ولعله أراد أن يظهر الحفاوة والترحيب بقدوم الخليفة والتقرب منه. ولو نظرنا إلى هذه الدور فإنه قد يتبادر إلى أذهاننا سؤال، هل هذه الدور مخصصة فقط لسكن الخليفة أو الخليفة وحاشيته أو فقط الوالي، أو كلاهما ؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات أقول: إنَّه مما يمكن استقراؤه عند الوقوف على تاريخ هذه الدور (دار العجلة على سبيل المثال) نصل إلى أنها مجموعة منازل متفرقة يطلق عليها اسم دار تشتمل على منازل خاصة بالخلفاء؛ ليقيموا فيها أثناء قدومهم للحج، كذلك لحاشيتهم منازل خاصة، وبطبيعة الحال فللوالي أيضًا منزل خاص فيه، ومما يدعم رأيي هذا أن الأزرقي يذكر: أنه بعد أن فرغ هارون من كتابة العهد الذي كان بين الأمين والمأمون دخل منزله من دار العجلة وفيه يقول: "ثم حضرت صلاة العصر عن فراغهم، فنزل أمير المؤمنين فَصَلّى بهم، ثم طافوا سبعاً، ثم دخل منزله من دار العجلة".[٨٤] وفي هذه الرواية تصريح بالبناء الداخلي للدور، فهي دارًا كبيرة تحوي داخلها منازل مستقلة للخلفاء ومن يرافقهم في اعتقادي، وهذه مما يدعم احتمالية اعتبار الدور هذه دورًا للضيافة بالإضافة إلى ما سبق.

ويظهر أن هذه الدور تقوم بدورٍ ديني مهم على الرغم من دورها الاجتماعي باعتبار بعضها مخصص لنساء الخلفاء، فالخيزران زوجة الخليفة المهدي حرصت على وجود مسجد في دارها -دار الخيزران- رغم قربها من المسجد الحرام، وهو مما يظهر تأصل النزعة الدينية عند رجال ونساء الدولة العباسية، إذ يقول الأزرقي: "الدار التي عند الصفا، يقال لها دار الخيزران، وفيها مسجد يصلى فيه، كان ذلك المسجد بيتا، كان يكون فيه النبي"[٨٥] ومن المؤكد أنَّ لهذا المسجد وظيفة في ذلك الوقت كأن يحوي حلقات لتعليم القرآن و ما شابه ذلك من دروس دينية وعلمية تتولى الإنفاق عليها الخيزران، وهي ربما تقوم مقام القصر الخاص حاليًا، الذي يتاح جزءاً منه للعامة أو ما شابه ذلك.

ثم يظهر أيضًا بعد هذا العرض أن هذه الدور كبيرة المساحة نوعًا ما، حيث تتوفر فيها كافة المرافق التي تخدم نازليها من الخلفاء وخاصتهم من رجال ونساء الدولة كذلك حاشيتهم، بالإضافة إلى مرافقهم في الحج. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يظهر ارتفاع الجانب الخيري عند خلفاء الدولة العباسية، خاصة الخليفة هارون الرشيد؛ لحرصه على بناء الدور في مكة إذ ربما أنه يخصصها لمن يحج معه أو من يتكفل بحجهم على نفقته الخاصة، ذلك أنه يُذكر أن هارون الرشيد إذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة التامة.[٨٦] مما يدعم رأيي هذا أن الخليفة هارون الرشيد يملك ثلاثة من الدور في مكة وهن: دار القوارير ودار الخلد ودار ابن عاصم.[٨٧] ويبدو بعد هذا أنَّ الدور تقوم بدور اجتماعي هام لا يمكن أن نغفل عنه إذ يمكن أن تكون مكان إقامة لمن جاء إلى مكة من المجاورين. ومما يمكن استقراؤه أيضًا أن هذه الدور تمنح أصحابها مكانة اجتماعية مرموقة، ذلك أنه قد يُمنح من يتولى ولاية مكة أرضًا ليبني عليها دارًا تتناسب مع مكانته، فإذا عُزل سحبت منه، مما يعني انتهاء صلاحيته والغاء مكانته بغضب من الخليفة. كما يمكن القول إنّ هذه الدور كان لها دور وإن لم يُذكر في دفع عجلة التطور والازدهار العمراني في مكة خصوصًا عند ظهور أنماط جديدة في البناء، ويظهر ذلك في حرص الولاة الشديد على تزينها؛ لاشك أنَّ ذلك يدفع العامة بطريقة أو أخرى إلى محاكاة تلك الدور في نمطها وطرازها. وبعد هذا كله فقد قامت الدور في مكة بدور بارز في الحياة العامة، إذ حرص رجال الدولة العباسية ونسائها الذين تسابقوا على تعميرها وتجديدها، كما يظهر أنهم قاموا بالإنفاق عليها بسخاء تام.

---

(٨٤) الأزرقي، أخبار مكة.-ج١.- ص٢٣١.

(٨٥) الأزرقي، أخبار مكة.-ج٢.-ص٢٦٠.

(٨٦) ابن الجوزي، المنتظم.-ج٨.-ص٣٢٦.

(٨٧) وقد يمتلك الخليفة هارون الرشيد دورًا أخرى لم تذكرها المصادر، ربما لصغر حجمها أو طفت أهمية الدور المذكورة عليها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والشكر له على التوفيق والامتنان والفضل والإنعام لما يسّر من إكمال هذا البحث وتمامه، أما بعد: فإنه بعد أن وفق الله عز وجل بإتمام هذا البحث،"حج الخلفاء العباسيين ودُورِهم في مكة خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)"، والذي آمل أن أكون قد أسهم بتوضيح جوانب الاهتمام بالدور في ذلك العصر الذهبي الذي يفيض بالخير على مكة. ولعله من المناسب أن أعرض هنا نتائج ظهرت من خلال استقراء هذا الموضوع، وذلك من خلال النقاط الآتية:

١- بينت الدراسة اهتمام الخلفاء العباسيين بالحج وتكرر حجاتهم، بالإضافة لعنايتهم بمكة والمسجد الحرام على وجه الخصوص.

٢- كشفت الدراسة عن العناية الفائقة التي وجهها الخلفاء العباسيون إلى العمران في مكة، فأنفقوا عليه الأموال الطائلة، وأحسنوا توسعة الدور وتزيينها بأعظم ما يكون في ذلك الوقت.

٣- أظهرت الدراسة المكانة العظيمة لمكة عند خلفاء بني العباس، ونلمس ذلك من خلال سعي الخلفاء الدائم لمتابعة أحوالها وتقصي احتياجات وافديها بتوفير دور لأقامتهم، مع الحرص على توفير كافة الخدمات فيها.

٤- أوضحت هذه الدراسة اختلاف الأهداف والغايات التي قام عليها بناء الدور في الدولة العباسية والسعي لتحقيق هذه الأهداف على الصعيدين الديني والدنيوي.

٥- أظهرت الدراسة أنَّ الأحوال السياسية التي مرت بها مكة خلال العصر العباسي الأول، لم تقف حاجزًا ضد الاهتمام بالدور بل استمر ليتماشى مع الأحداث في ذلك الوقت.

٦- أبانت الدراسة أن بعضًا من هذه الدور استمر ليكون وقفًا فيما بعد وليحقق المنفعة العامة للمسلمين فيما بعد.

٧- كشفت الدراسة استشعار خلفاء الدولة العباسية لحاجات الحجاج والمسافرين أو الزائرين وتلمس مواطن الخير فلم تقتصر جهودهم على توفير الدور لنزلهم بل تواصل لبناء المساجد وما يتصل به من مرافق.

٨- وأخيرا .. فإن المتأمل لتاريخ مكة في العصر الأول من الدولة العباسية يرى أنَّ الدولة حرصت على متابعة أحوال هذا البلد الأمين، في كافة المجالات، كما دفعت الدولة العباسية بأعمالها المختلفة عجلة التقدم والازدهار على مختلف الأصعدة.

قائمة المصادروالمراجع:

أولًا: المصادر.

- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت بعد عام ٢٤٨هـ).
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار.- ط٩.- تحقيق: رشدي ملحس.- مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- الأندلسي، أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي المغربي (ت بعد ٥١٦هـ/ ١١٢٣م).
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب.- تحقيق: نصرت عبد الرحمن.- عمان: مكتبة الأقصى. -ص٣٢٣)
- الأندلسي، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
- جمهرة أنساب العرب.-ط١.- تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال.-القاهرة: شركة نوابغ الفكر.١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م).
- تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدثيها وذكر قُطانها العلماء من أهلها ووارديها.- ط١.- تونس: دار الغرب الإسلامي.١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- البلاذري، أبو الحسن البلاذري(ت ٢٩٧هـ/ ٨٩٢م).
- فتوح البلدان.- عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان.- بيروت: دار الكتب العلمية.١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
- الجامع الكبير-سنن الترمذي.(د.ط).- تحقيق: بشار عواد.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الجزيري. عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصار الجزيري الحنبلي(ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م).
- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة.-ط٢.-أعده للنشر: حمد الجاسر.-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.-ط٣.- دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزو.- بيروت: دار الكتب العلمية،(د.ت).
- الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م).
- المناسك وأماكن طرق الحج.-إشراف: عبد الله ناصر الوهيبي.- الرياض:دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).
- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .- ط١.- اعتنى به عادل بن سعد.-بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
- المعارف.- (د.ط).- تحقيق: ثروت عكاشة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد لن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.-ط١.- تحقيق: بشار عواد معروف.-بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م).
- الطبقات الكبير.-ط٢.- تحقيق علي محمد عمر.- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.
- الصباغ، محمد أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي(ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).
- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام.-ط١.- تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ- ١٣٦٣م).
- الوافي الوفيات.- ط١.- طالعه: يحيى بن حجي الشافعي؛ تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط و تزكي مصطفى.-بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م).
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن.- ط١.- تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي.- الجيزة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- تاريخ الأمم والملوك.- ط٤.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الفاسي، الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م)
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.-ط١.-تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء.- بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.-ط١.- تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.-يروت: دار الكتب العلمية.١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي المكي(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه.-ط٥.- تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- الحنفي. قطب الدين الحنفي (ت٩٨٨هـ/١٥٨٠م).
- تاريخ القطبي المسمى كتار الأعلام بأعلام بيت الله الحرام.-(د.ط).-تقديم السيد محمد أمين كتبي، شرحه وعلق عليه ووضع صوره: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي.- مكة المكرمة: المكتبة العلمية بمكة المشرفة.(د.ت).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- البداية والنهاية.- ط٢.- دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير.١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ابن فهد. النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد(ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).
- إتحاف الورى بأخبار أم القرى .-(د.ط.) تحقيق فهيم محمد شلتوت.- مكة المكرمة: مطابع جامعة أم القرى.(د.ت).
- الكردي، محمد طاهر الكردي المكي (ت ١٤٠٠/١٧٩٧م).
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم.-ط٣.- إشراف: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.- مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- المرجاني، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن عبدالملك المرجاني(ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م).

- هجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار.-ط١.- دراسة وتحقيق: محمد عبدالوهاب فضل.- بيروت: دار الغرب الإسلامي.١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- مؤلف مجهول.
- كتاب العيون والحدائق في أخبار الخلائق.-(د.ط).-بغداد: مكتبة المثنى. ١٢٨٨هـ/١٨٧١م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٨هـ / ٨٣٣م).
- السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين.- القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د.ت).
- اليعقوبي، أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي (ت٢٩١/ ٩٠٥م).
- تاريخ اليعقوبي.- ط٦.-بيروت: دار صادر، ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م.

ثانيًا: المراجع:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (د.ط.)، القاهرة: دار الدعوة (د.ت.).
- حسين عبدالعزيز حسين شافعي، الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي،ط١، مكة المكرمة: الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- خالد عزام حمد الخالدي، تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م).-ط٤.-الرياض: الجمعية التاريخية السعودية،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ثالثًا: الأبحاث والدراسات:

- ناصر بن علي الحارثي. «دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي».- مجلة الدارة.-ع٣(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).